الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

قراءة أصولية لأمة انهزامية

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا من خير أمة أُخرجت للأنام، تأمر بالمعروف وتنهى عن الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك العلّام، هدانا لأفضل الشرائع والأحكام، وخصّنا بمزيد فضلٍ وإنعام. أحمده سبحانه وتعالى على فضله الخاص والعام، وأصلّي وأسلّم على رسول الإسلام، عليه من ربنا أفضل الصلوات وأتمّ السلام، وعلى آله وأصحابه ومن على شرعه استقام.

عباد الله، تمرّ أمتنا الإسلامية بأوضاع صعبة، وظروف حرجة، ومرحلة من تاريخها دقيقة وخطرة، حيث تُستباح بيضتها، وتُحتلّ أراضيها، وتُدنَّس مقدساتها، ويُستباح حماها، وتُستنزف خيراتها، ويتكالب عليها أعداؤها، وفوق ذلك تُدمَّر ثقافتها، وتبددت رسالتها. وحقّ لنا أن نتساءل: ما الذي أصابنا؟ وماذا دهانا؟ ولماذا طمع فينا أعداؤنا؟ والإجابة واضحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. وإني لا ألوم يهوديًّا ولا نصرانيًّا، يعمل لأجل دينه ويسعى لأجل نشر مبادئه، إنما ألوم الأمة القانعة الخانعة التي رضيت بالدنيا.

إننا نعيش في عالم لا تنفع فيه المسيرات الغاضبة، ولا الإدانة ولا التنديد ولا الشجب، عالم لا يحترم ولا يعترف إلا بالقوة. ويوم الأحد موعد الفئات المتشددة من أبناء اليهود والصهاينة لتدنيس المسجد الأقصى، وإنها مسيرة سوف تكون كبيرة وتحميها الدولة الصهيونية.

إن العالم الإسلامي يمرّ بظروف صعبة بالغة التعقيد، فيها أوضاعه الداخلية: الأمة مقسَّمة ومشتَّتة، المناهج شتى والطرائق مختلفة في ديار المسلمين، الهوية مضيَّعة، والمصالحة مع الله عز وجل بعيدة. ولذلك فإننا نعيش في عالم تحرّكه الأيديولوجيات وتسيّره المناهج، فلا بد فيه للأمة من حلٍّ عقدي وقراءة أصولية لما يصيب واقعنا. إن الذي أصاب واقعنا يحتاج إلى قراءة أصولية لا إلى قراءة سياسية. إن كثيرًا من السياسيين يشرح الواقع ويتحدث عن معطياته، ويتكلم عن الواقع، وكل ذلك لا يجدي، لا يجدي في ذلك إلا الحديث المباشر. ما الذي يحرّك العالم الغربي تجاه الإسلام والمسلمين؟ تحرّكه مناهجه وأفكاره وديانته المختلفة، المباينة للديانة الموجودة في العالم الإسلامي، وإن قيم الغرب وإن مناهج الإسلام لا تلتقي أبدًا مع بعضها البعض، حتى قال بعض مفكري الغرب من عقلائهم: طالما أن الإسلام إسلام وأوروبا وأمريكا أمريكا فلن يلتقيا أبدًا، إما أن يتنازل الإسلام عن إسلامه، وإما أن تتنازل أوروبا وأمريكا عن حضارتها. لكن إذا ظلت أمريكا وأوروبا معتدّة بمناهجها وحضارتها وعولمتها وما وصلت إليه من تفوق مادي، ومن أجل تعميم تجربتها وقيمها دون مراعاة لخصوصيات المجتمعات، فسيظل الصراع قائمًا.

ولا يوجد أبلغ من القرآن في تشخيص الصراع، في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم...﴾، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ...﴾، تعزّون في البابا، وتتحدثون عن السلام العالمي، وتتكلمون عن حقوق الإنسان وعن الحريات، وعن حوار الأديان، والتعايش السلمي، وكل ذلك زور وبهتان، إنما هي أسلحة يراد بها تكبيل الإسلام. أين التعايش السلمي في فلسطين؟ أين حقوق الإنسان المضيَّعة منذ سنة ثمانٍ وأربعين؟ بيوت تُهدم، ومزارع تُحرق، ونساء تُسبى في سجون إسرائيل، ورجال وشباب كل يوم يُقتلون، حتى الدرّة الطفل المسكين لم يسلم من رصاصاتهم. أين حقوق الإنسان؟ المسيرة تشكّل رأيًا عالميًّا أو توصل كلمة، لكنها لا تحلّ قضية. لن تُحلّ قضايا الإسلام والمسلمين إلا أولًا بالرجوع إلى الدين حقيقةً.

ولذلك قال تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا...﴾، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ

إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ...﴾، ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾. القرآن يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

إن العالم الإسلامي رفع الله جل جلاله تأييده عن الناس، لأنهم ركنوا لأمريكا وخضعوا لها، وبالرغم من ذلك لم ترضَ أمريكا عن خاضع، إنما تريدهم أن يتخلّوا عن الدين. ماذا استفادت الحكومات التي تنازلت لأمريكا؟ ماذا استفادت؟ قدّموا لهم التنازلات، حتى الثوابت تنازلت عنها دول وتركتها مجتمعات من أجل أن ترضى عنهم أمريكا، ولن ترضى عنهم أمريكا أبدًا. إن الصراع صراع عقائد، ولأن الحرب حرب مناهج، ولأن الدين هو الأساس، هم يعتدّون بدينهم ويعتزّون بمبادئهم وقيمهم، أما نحن فإننا نتعاطى الإسلام على استحياء.

وإنني على قناعة راسخة أن الأمة الإسلامية ألدّ أعدائها وأكبر خصومها نفسُها التي بين جنبيها. العالم الإسلامي لن يتصالح مع ربه في يوم من الأيام. العالم الإسلامي يتعاطى ثقافة الأعداء وينبذ الأعداء في المسيرات، يخرجون في مسيرات هادرة ويندّدون بأمريكا وبإسرائيل، والإعلام، الأفلام الأمريكية والأفلام الإنجليزية والأفلام الجنسية، كلها في إعلامنا وفي ثقافتنا وفي مستويات أجهزتنا. إننا نحارب أمريكا ولكن لن ننتصر على أمريكا، لأن أمريكا دخلت بيوتنا ودخلت أسَرنا ودخلت جامعاتنا ومسخت شبابنا وغرّبت فتياتنا. لن ننتصر عليها لأننا نحمل ثقافة أمريكا. أرادت أمريكا أن تدمّر العالم بواردات ثقافتها وتغريبها، ولذلك أنا أعجب لأمة تكره أمريكا وتتعاطى ثقافة أمريكا.

أين القانون الشرعي في ديار المسلمين؟ أين حدود الله عز وجل؟ أين أحكام الشريعة؟ أين شرع الله؟ غير موجود. أين الدين في مناهجنا؟ وفي مدارسنا وفي جامعاتنا؟ قليلٌ ما هو موجود. أنا أتكلم ليس عن السودان، أتكلم عن العالم الإسلامي قاطبةً. أين الإسلام في شارعنا؟ إن شوارع الخرطوم لا تقلّ أحيانًا عن شوارع باريس أو نيويورك أو واشنطن: الزي هو الزي، الأسماء فقط، هذه فاطمة وتلك ديانة، أما الشكل وأما الصورة وأما الهيئة فواحدة.

كيف ننتصر على أمريكا؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. إن سنة الله عز وجل الأصيلة التي لا تتبدل أبدًا: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، أن يكون هنالك كافر أعلى مكانًا وأرفع شأوًا من مؤمن. وها قد جعل الله للكافرين، ليس على المؤمنين، إنما على مسلمين إسلامهم باهت، وتعاطيهم للدين ضعيف، وانتماؤهم لقيمهم مهزوز، ويتعاطون الإسلام على استحياء. إن الأمة لا تنتصر إلا بدينها.

وإن أردتَ قراءة صحيحة، وعنوان هذه الخطبة: قراءة أصولية في عصر الانهزامية، أو قراءة أصولية لعصر انهزامية، أودّ أن أتكلم عمّا أصابنا من انهزام عبر أصولنا، عبر السنة: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها». قلنا: أمِن قلّةٍ نحن؟ يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من قلوب عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية القتال». «إنما جُعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجُعل الذلّ والصَّغار على من خالف أمري». هكذا قال صلى الله عليه وسلم. «إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وأخذتم أذناب البقر سلّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». إن الأمة التي لا تتخذ الحياة محرابًا، والتي لا تعرف الله إلا في المساجد يوم الجمعة، أمة غير جديرة بنصر الله سبحانه. ولذلك قال: «إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم، وأخذتم أذناب البقر» أي الدنيا، «سلّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

إن الأسباب الحقيقية لضعف الأمة الإسلامية: أولها فقدان هويتها وضعف انتمائها لدينها. إن أمة الإسلام ما أُتيت إلا من قِبَل أبنائها. من الذي رفع الملفات إلى مجلس الأمن الدولي؟ أتراهم يهود؟ أتراهم نصارى؟ إنهم أبناء بلدنا، أبناء جلدتنا، يقرؤون القرآن، بل يحفظونه، بل هم معنا في ديارنا، بل أسماؤهم أسماؤنا وسحنتهم سحنتنا، هم الذين ألّبوا علينا دول الكفر زعمًا أنهم سينصرون قضيتهم. إن أمريكا لا تنصر إلا قضيتها، وإن فرنسا لا تحب إلا نفسها، وإلا فالأقليات المظلومة المضطهدة من المسلمين في أنحاء العالم كثيرة. إن الأمة فقدت الهوية، ولفقد الهوية ولضعف الانتماء للإسلام لا تفرّق بين عدو ولا صاحب، فضاعت عقيدة الولاء والبراء. صار كثير من المسلمين يوالون النصارى، ويحبّون اليهود، ويطبّعون، بعضهم يطبّع من فوق الطاولة وبعضهم يطبّع من تحت الطاولة، أي من خلف الأسوار. إنها قضية عجيبة. والآن في فرنسا عُقد مؤتمر عن تعايش الأديان، أي أديان هذه؟ الأديان لا تلتقي إلا على كلمة سواء: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ...﴾، لا تثليث. إن البعض أبى أن يعترف بالإسلام دينًا، حتى مجرد أنه دين له تأثير في العالم، هذه الحقيقة أبى أن يعترف بها. أمة الإسلام أمة مكلومة وأمة ضعيفة، وسبب ضعفها ابتعادها عن دينها.

إن التاريخ يؤكد أن الإسلام مهما أصابه من الوهن، إنما يصيب الأمة ويصيب الأفراد ويصيب الشعوب ويصيب المجتمعات، لكن الدين تكفّل الله بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. يحفظ الله دينه: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا...﴾.

إن صلاح الدين الأيوبي، الذي جاء وهو من الأكراد، صلاح الدين الكردي، جاء رحمه الله تعالى واستنقذ المسجد الأقصى بعد اثنتين وتسعين سنة تحت النصارى، وذلك بمعركة هي معركة حطين، وكان ذلك سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة من الهجرة النبوية. خرج صلاح الدين من مصر يقود الجيوش، وكانت جيوشه قليلة، لأن رغبته كانت في أن يحمي الحجاج الذين يمرّون بمنطقة الكرك، وكان هنالك على الكرك حاكم نصراني يسمى أبرنس أرناط. أبرنس أرناط هذا كان حاكمًا على الكرك، كان يقطع الطريق على الحجاج، فكلما جاؤوا يجعلهم ويصفّهم أسرى، ثم يأتي بالسيف ويقول: أتتبعون محمدًا؟ استغيثوا به من أجل أن ينقذكم، هذا سيفي وهذه رقابكم. فخرج صلاح الدين لحمايتهم.

لمّا سمع به النصارى جاؤوا من كل فجٍّ وصوب، ومن كل حدب جاؤوا ومعهم جحافل، معهم ملك إنجلترا وملك ألمانيا وكل الدول الكافرة، جاؤوا في ثلاث وستين ألف مقاتل، ثلاث وستين ألف مقاتل، جاؤوا في هذه المنطقة ومعهم صليب يسمى صليب الصَّلَبوت، يزعم النصارى أنه الصليب الذي صُلب عليه عيسى عليه السلام، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ...﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ...﴾. فجاؤوا بصليب الصلبوت، وهو مرصّع بالدرّ وبالياقوت، وهو من ذهب، صليب من ذهب، جاؤوا يحملون الصليب. وجاؤوا ومعهم كل المقاتلة، وجاؤوا في أرض المعركة بالقرب من بحيرة طبرية في منطقة تسمى حطين. خرج صلاح الدين ومعه عشرة آلاف، وفي الأول أبى أن ينازل، لكن لمّا رأى أنهم أصرّوا على قتاله بدأ صلاح الدين يعدّ العدة، وبدأت المعركة في فجر السبت، معركة تدل على أن الدين هو الذي ينتصر، وأن الإيمان هو الذي ينتصر.

هذه المعاني الغائبة من القادة والزعماء والمفكرين في عالمنا الإسلامي، ومن يتعاطى قضايا الأمة في الإعلام، كلها. ما في زول قال: قال الله وقال الرسول. وأمريكا جاية مجلس الأمن وما حنسلّم وماشي يا أخي، ما في زول قال: قال الله وقال الرسول. ما في زول قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾، ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ما في زول قال للناس: توبوا إلى الله وارجعوا إلى الله. إنه ينبغي أن يقال في هذه المسألة: الدين هو الذي ينتصر.

وبدأت المعركة، وانجلت المعركة بشيء عجيب: قُتل من صلاح الدين عشرون ومئة. قال ابن كثير: الجثث كأمثال التلال، وأُسر ثلاثون ألفًا.

والله أنا أشبّه العالم الإسلامي اليوم بما حصل من التتار القدامى، وإن أمريكا وأوروبا ومن معها هم التتار الجدد، الذين جاؤوا زعمًا لمحو الإسلام من الوجود، لكن لن يستطيع أحد أن يمحو هذا الدين من الوجود، مهما علت قوته ومهما عظم شأنه.

سنة ست وخمسين وست مئة جاء التتار واحتلوا بغداد، قُتل ثمانمائة ألف في أربعين يومًا، ووُضع الخليفة آنذاك في جوالق، جوال، في شوال، بالأرجل حتى مات. والذين استدعوا هولاكو، الذين استدعوه إلى بغداد هم وزراء الخليفة: ابن العلقمي والنصير الطوسي، وديل كانوا مسلمين، لكن شيعة، ضد الإسلام، مسلمين وجوّا الإسلام.

وتحرّك بعد ذلك التتار وهولاكو إلى أين؟ إلى الشام، وكان عليها الناصر، والناصر الحفيد الثالث لصلاح الدين الأيوبي، الناصر ابن المنصور ابن العزيز ابن صلاح الدين الأيوبي، كان على دمشق، فلما رأى التتار هرب منها فاحتلها التتار، احتلوا دمشق واحتلوا حماة واحتلوا حمص واحتلوا حلب. عندها كان على مصر واليًا يسمى المظفر سيف الدين قطز، خرج لملاقاة التتار. ما زالت أفعالنا تجاه الكفار ردود أفعال، هم يطلعوا نحنا نندّد، لم نبادر في يوم من الأيام، لم نبادر. خرج وجيشه كله يقوم الليل، وكان إذا مرّ على مجموعة من الجنود ينامون ولا يقومون الليل يقول: من هؤلاء أخشى، من هؤلاء أخشى، حتى جاءت المعركة الفاصلة في عين جالوت.

في تلك السنة لم تكن الخلافة قائمة، وكانت الخلافة قد سقطت، لأن المعركة كانت سنة ثمان وخمسين وست مئة للهجرة، والخلافة سقطت سنة ست وخمسين وست مئة هجرية، بعد سنتين، ولا خليفة. انتصروا بالدين، وانتصروا بالقيم. أين هويتنا؟

ثانيًا: داء التفرق والتشرذم. من أكبر ضعف أمتنا أن فقدت الأمة التوحيد والوحدة. أنت عارف التتار لمّا دخلوا بغداد؟ الناس قالوا شنو؟ يا خائفين من التتر، لوذوا بقبر أبي عمر. قالوا: نمشي للشيوخ؟ قالوا: أنجدونا. ونسأل الصالحين الميتين في الأضرحة، قالوا: انصرونا. قالوا: ينصروكم؟ ينصروكم؟ إذا ربكم ما نصركم. ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ...﴾. إلى يومنا هذا العقائد الباطلة. السودان ده كان ما بقى فيه توحيد لله خالص، والناس خلّوا الشرك وهدموا القباب وكسروا الأضرحة وعُبد الله وحده وتُركت هذه الأوثان وهُجرت، لن تقوم للسودان قائمة.

ثالثًا: الانهزام النفسي. نظرًا للتفوق المادي والعسكري للغرب، الأمة منهزمة نفسيًّا، تظن أنها لا تنتصر. وأمريكا المتجبرة المتغطرسة، سنة ألفين وستة ميزانية البنتاغون سوف تساوي ميزانيات وزارات الدفاع في العالم كلها، بما فيها أوروبا والصين ذاتها. ولكن هل تنتصر الأمم بالأسلحة؟ من كان يظن أن التتار لا يُكسرون؟ وأن الصليبي لا يُهزم؟ من كان يظن ذلك؟ لكن أين الأمة؟ أين الأمة؟ الانهزام النفسي من أسوأ ما تعايشه الأمة اليوم.

رابعًا: من أكبر أسباب ضعف الأمة غياب التخطيط والعلم والمعرفة، وترك الأمور للارتجال والمصادفة، وعدم وجود مبادرة. أمة لحدّ يوم وليلة تتعامل مع ردود الأفعال: يطلعوا قرار، يطلعوا مسيرات، يقولوا لأ وغلط وكده، انتهى الكلام. ثم ماذا بعد؟ أين البناء؟ أين التخطيط؟ أين العلم؟ كيف تنتصر الأمة؟ أتريد الأمة أن تنتصر بالجهل؟ بالخرافة؟ بالميتافيزيقية؟ وانتظار قوة خفية تأتي وتتدخل دون أن نبذل أسبابًا أو دون أن نسعى مسعى؟ لا يمكن أن تنتصر الأمة هكذا. هذه الأسباب الحقيقية لضعف أمتنا الإسلامية: غياب الهوية، وداء التمزق والتشرذم والخلاف والتفرق، وغياب التخطيط والارتجال، والانهزام النفسي الذي في دواخلها، ثم غياب الجهاد في سبيل الله والتضحية: «إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وأخذتم أذناب البقر وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». حب الدنيا وكراهية القتال وكراهية الموت، هو سبب الوهن الذي أصاب أمتنا في داخلها. لذلك أين الجهاد في سبيل الله؟ دعك من الجهاد، أين التضحية للدين؟ أين العمل للإسلام؟ أين الإنفاق في سبيل الله؟

أين العمل والإنفاق في سبيل الله؟ هذه خمسة أسباب رئيسية أراها هي أسباب ضعف أمتنا، من أجل أن نقف على الأسباب بقراءة أصولية ترجع إلى الأصول وتعالج الواقع.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد والعون والقبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أين الحل؟ وأين المخرج مما نحن فيه؟ إنه لا بد من التركيز على ثلاث قضايا أساسية، ونقاط محورية، هي التي بها عز الأمة وبها نصر الدين وبها مجد المسلمين.

القضية الأولى: استعادة الوعي بهويتنا. أن نعرف أن أعداءنا قد يسعون إلى البترول، من أجل نفط السودان، واليورانيوم الذي في دارفور، أو أي معادن، ولكن القضية الأساسية هي الدين. الدين لا يمكن أن تحتل أمريكا دولة كافرة نصرانية مثلها، لا يحصل هذا. ولذلك ينبغي أن نستعيد الوعي بهويتنا، وبذلك نحقق الانتماء الصادق للإسلام في إطار الأفراد والمجتمعات والدول والحكومات. وهنا أدعو الحكومة صادقًا من قلبي أن تصالح ربها وأن ترجع إلى الدين، وأن تكون جادة في إقامة الإسلام على الأرض في السودان، وأنصح الحكومة بأن لا تتنازل، لأن الآية واضحة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا...﴾. والله ما كنت أظن بعد نيفاشا أن الغرب سوف يغضب على السودان، بعد التنازلات الكبيرة التي قدّمها، وعجبت وفوجئت بأن الغرب لا يرضى وفق الآية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

فعلى الحكومة أن ترضي ربها، وأن تصالح مولاها، وأن ترجع إلى دينها، وأن تستقيم على الشرع، وأن تصالح شعبها. وقّفوا الجباية شوية. يا أخي ما معقول. وقّفوا الحاجات دي، الجباية والحاجات دي خلّوها. ابتداءً اتصالحوا مع الناس، صالحوا ربنا وصالحوا الناس، عسى الله عز وجل أن يحدث أمرًا.

امتلاك أسلحة النصر الربانية: استعادة الوعي بالهوية، يعني امتلاك أسلحة النصر الربانية، معنى ربنا بينصركم، وهو الذي يأتي بالمدد: «نصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده». لكن كيف نرجع إلى الله؟

الأمر الثاني: امتلاك أسلحة النصر المادية. امتلكنا أسلحة النصر الربانية، رجعنا إلى الله وتبنا، الأب والبنت والولد والطريق والشارع والأمة والمجتمع، رجعوا إلى الله. كل يوم تفسّخ، كل يوم تبرّج، كل يوم مناظر سيئة ورديئة، والله أشياء عجيبة خلاص، تقرأ الجرايد ما بتقول في إسلام، والله هذا سبب النكسة، فتح الباب للضلال هو سبب النكسة. نمتلك أسلحة النصر الربانية، ثم نمتلك أسلحة النصر المادية: مخطَّط، نقرأ العلم، نتعلم العلوم النافعة، نُعدّ العدة، نتدرّب، نتأهّل، مطوِّر، مبدع، نبتكر، نخترع، دا امتلاك أسلحة النصر المادية.

نبثّ الثقة في نفوسنا ونبثّ الأمل، وإنها مبشرات في ظل المحبطات. نعم الواقع محبط وأليم، لكن الإسلام سينتصر، ليس حلمًا ولا أملًا ولا أمنية، حقيقة. ينبغي أن نقف على المبشرات، وأولى المبشرات النصوص الشرعية. الله قال: الإسلام ما بينتهي: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا...﴾. معناه الانكفاء نحو الداخل: فاتقوا، غيّروا سلوكياتكم، تصبروا،

تصمدوا، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا...﴾. ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾. الدين ما بيهزم، النصوص بتقول كده. «ليتمنّ الله هذا الأمر» بعد الألم اللي إحنا فيه ده. قال: «ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار...». «ليتمنّ الله هذا الأمر». النصوص تقول: المبشرات كثيرة.

البشرى الثانية: لأمريكا والغرب التفوق المادي، ولعالمنا التفوق الروحي والتفوق القيمي والتفوق الأخلاقي، ما زالت المجتمعات محافظة على الأسرة، ما زال الناس فيهم خير. ثالثًا: من أعظم المبشرات الواقع، مع الفساد: جموع التائبين والعائدين من الشباب كثيرة، كل يوم شباب يجوا المساجد، شباب يلتزم، والفتيات بيتحجبن، ما شاء الله. الواقع يدل على هذا. الحفظة، الدورات العلمية: همسه قبل شهر عندنا خمستاشر شاب يحفّظوا القرآن في شهرين، حفّظنا البخاري كله وصحيح مسلم كله، بيقروا في كليات الطب وفي سنين متقدمة ومتفوقين، يحفظوا القرآن ويحفظوا صحيح البخاري وصحيح مسلم. هذا نشوف الجماعة دي اللي بيحاربوا الدين كيف؟ واحنا بنحفّظ، يدل على هذا. ثم رابعًا: عدالة القضية. نحن عندنا قضية عادلة، ولذلك سوف ننتصر، ننتصر على الغرب وعلى الكفر. هذه مبشرات في ظل المحبطات لتعيد إلينا الثقة وتبثّ الأمل بأن الأمة قادرة على تجاوز العقبات.

بعد ما دخل التتار بغداد ما ظن أحد أنه سوف تقوم للإسلام قائمة، ولكن جاءت الخلافة وعادت الأمة، وجاء العثمانيون في آخر الزمان وتوسّع الإسلام، وبلغ الدين الآفاق ودخل الدين في كل بقاع الدنيا. إذًا المبشرات موجودة، بالمبشرات وببثّ العمل وروح النصر فينا ننتصر، وبامتلاك أسلحة النصر الربانية ننتصر، وبامتلاك أسلحة النصر المادية ننتصر.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا وإياكم أجمعين، وأن يعزّ الإسلام والمسلمين في كل مكان، وأن يذلّ الشرك والمشركين في كل مكان. اللهم من أراد بإسلامنا سوءًا وبمجتمعنا دمارًا، وبشبابنا وبفتياتنا فسادًا، اللهم اكفنا شرّه يا رب العالمين. اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء يا رب العالمين، اللهم احفظ ديارنا وديار المسلمين من كل سوء، اللهم اجعل ديارنا أمنًا رخاءً سخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، اللهم آمِنّا في أوطاننا واحفظ ديارنا ونساءنا وشبابنا وأعراضنا يا رب العالمين. اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يُعزّ فيه أهل طاعتك ويُذلّ فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيها بالمعروف ويُنهى فيها عن المنكر، ويُقام فيها الشرع، ويُحكم فيها الكتاب، وتعلو فيها السنة، يا رب العالمين. اللهم أعزّ دينك يا رب العالمين، اللهم انصر دينك يا رب العالمين، اللهم انصر كتابك يا رب العالمين. اللهم كن للمستضعفين من المسلمين في كل

مكان، اللهم كن لإخواننا في فلسطين، اللهم كن عونًا لهم يا رب العالمين، اللهم لا تخذلهم إذ خذلهم الناس، اللهم لا تخذلهم إذ خذلهم الناس، اللهم لا تتركهم إذ تركهم الناس. اللهم احفظ المسجد الأقصى، اللهم احفظ المسجد الأقصى يا رب العالمين، وخلّصه من براثن اليهود المعتدين، يا رب العالمين، يا جبار السماوات والأرضين، يا قيوم، يا حي، يا من بيدك ملكوت كل شيء، يا من تُجير ولا يُجار عليك، يا رب العالمين. اللهم أعزّنا يا رب العالمين، اللهم أعزّنا ولا تُذلّنا، اللهم أعزّنا ولا تُذلّنا، وأغننا ولا تُفقرنا إلا إليك يا رب. اللهم أعزّ الأمة، اللهم أعزّ الأمة، اللهم مكّن للدين يا رب العالمين. اللهم عليك باليهود، اللهم عليك بالنصارى، اللهم عليك بالظالمين والغاشمين، والطغاة والمتجبرين، فإنهم لا يعجزونك يا رب العالمين. اللهم انصر إخواننا في العراق، اللهم انصر المقاومة يا رب العالمين، اللهم اجمعها وأعزّها وقوِّها وسدِّد رميها يا رب العالمين، اللهم لا تقم للكفر في الأرض راية، واجعلهم لمن خلفهم آية يا رب العالمين. اللهم يا من أعزّ محمدًا، ويا من أنجى إبراهيم يا رب العالمين، ويا من أجاب يونس، ويا من أرجع يوسف إلى يعقوب، اللهم أجب دعاءنا في هذه الجمعة. اللهم عليك بالكفار، اللهم رُدّ كيدهم، واحفظ بلادنا وديارنا سلامًا وأمنًا يا رب العالمين، واجعلنا في عافية من البلاء والابتلاء، يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/قراءة-اصولية-لامة-انهزامية/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك	يوتيوب	تيليجرام	قناة واتساب	إكس
MohammedSayedHaj	@msayedhaj	@msahaj	قناة الشيخ	@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com